الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر بنى ايوب

(١٢٢٥ – ١٢٤٦م – ٦٢٢ – ٦٤٤ هـ)

اعـــــداد

دكتور أسامة زكى زيد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية التربية – جامعة طنطا

٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) كثيراً من الظواهر التاريخية الهامة المؤثرة فى تطور العلاقات الصليبية الاسلامية مما كان له أكبر الأثر فى تحول ميزان القوى فى الصراع بين المسلمين والصليبيين لصالح المسلمين . ومن أهم هذه الظواهر عودة بيت المقدس عودة نهائية إلى المسلمين فى يولية ١٢٤٤م – صفر ٦٤٢ هـ ، وقد ظل تحت الحكم العربى الاسلامى منذ هذا التاريخ حتى بدايات القرن العشرين .

وإذا كان المسلمون قد فقدوا بيت المقدس عام ١٠٩٩م–٤٩٣ هـ بسبب ضعفهم وأنقسامهم وعدم إدراكهم التام لطبيعة الحركة الصليبيةوأهدافها إلا أن حركة اليقظة الاسلامية التى تمت خلال القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) أخذت تسرى كالتيار فى المنطقة . وأثمرت عن ظهور شخصيات اسلامية لامعة كان لها دورها فى بذر بذور الوحدة العربية الاسلامية مثل عماد الدين زنكى وأبنه نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى مؤسس الاسرة الأيوبية فى مصر ، الذى نجح بعد جهاد كبير فى تكوين وحدة اسلامية عربية امتدت من النيل إلى الفرات ، وتطويق ممتلكات اللاتين واخراجهم من بيت المقدس ومعظم مدن الساحل بعد أن الحق بهم الهزيمة فى موقعة حطين عام ١١٨٧م – ٥٨٣ هـ فاعتدل بذلك ميزان القوى لصالح المسلمين .

وإذا كانت موقعـــة حطين تمثل الضربة الأولى القاسية التى تلقاها الصليبيون على أيدى المسلمين ، فهناك ضربة أخرى أشدمنها مرارة راح ضحيتها آلاف من الصليبيين وفقدوا فيها للأبد سيطرتهم على بيت المقدس

ونعنى بها هزيمتهم على أيدى الخوارزميةالأتراك فى بيت المقدس فى يوليو ١٢٤٤م – صفر ٦٤٢ هـ ثم هزيمتهم للمرة الثانية فى أكتوبر من نفس العام فى معركة غزة أمام جيوش الخوارزمية المتحالفة مع الجيش المصرى ، ونظراً لأن هذه المعركة كانت أكبر كارثة حلت بالصليبيين منذ موقعة حطين عام ١٨٧م – ٥٨٣ لكثرة ماتكبدوه فيها من خسائر فى الأرواح والعتاد فقد أطلق بعض المؤرخون عليها اسم «حطين الثانية» (١) .

وقبل القاء الضوء على هذه المعركة من كل جوانبها والدور الذى لعبه الخوارزمية خلالها لابد من التعريف بالخوارزمية وأصلهم وأحوالهم ثم كيفية وصولهم إلى منطقة الشرق الأدنى الاسلامى وأثر هذا على طبيعة علاقاتهم بأفراد البيت الأيوبى وانعكاس ذلك على العلاقات الصليبيةالاسلامية والتى تتمثل فى معركة غزة ١٢٤٤م – ٦٤٢ .

ينتمى الخوارزمية إلى محمد بن أنوش تكين وكان والده مملوكا لأحد أمراء البيت السلجوقى . وقد رباه والده فأحسن تأديبهفنشأ عارفاً وأديباً، واشتهر بالكفاية وحسن التدبير فعلا شأنه بين كبار السلاجقة وتدرج فى المناصب العليا فى الدولة حتى أسند اليه حكم مدينة خوارزم (١) عام ١٠٩٥م – ٤٨٩ هـ ، ولقب «خوارزم شاه » . وتفانى فى خدمة ولايته ، وقرب أهل العلم والدين اليه فعظم شأنه وارتفعت منزلته فى شتى أنحاء الدولة

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, t. III, p. 416.

(٢) تمتد خوارزم من بحر قزوين إلى بحر آرال أى بين فارس وبخارى . وهذه الأراضى أكثر خصوبة من الأراضى المجاورة لها . وهى على حد قول القزوينى «ذات مدن وقرى كثيرة وسيطة الرقعة و فسيحة البقيعة جامعة لا شتات الخيرات وايذاع المسرات» . وبها نهر جيحون ، ورغم كثرة مياه هذا النهر فهو يتجمد فى فصل الشتاء . ويوجد بالقرب من خوارزم بحيرة صغيرة تستمد مياهها من نهر جيحون . أنظر القزوينى : أخبار العباد وآثار البلاد ص ٣٥٣ – ٣٥٤ وكذلك :

Eracles, Cf. R.H. C. H. Occ., II, p. 428.

السلجوقية . وعندما توفى تولى بعده ابنه أتسز(١) . وعلى هذا يعتبر محمد ابن أنوش تكين المؤسس الحقيقى للدولة الخوارزمية . (٢) .

وكان لضعف السلاجقة عقب وفاة السلطان ملكشاه عام ١٠٩٢م — ٤٨٥ هـ أثر كبير فى بزوغ نجم الدولة الخوارزمية وظهورها كدولة مستقلة على أنقاض الدولة السلجوقية . فبعد وفاة السلطان ملكشاه حدث صراع شديد بين أولاده على الملك (٣) ولم يحل عام ١٠٩٦م ـ ٤٨٩هـ حتى كانت الدولة مقسمة إلى خمس ممالك متنافسة هى سلطنة فارس «أصبهان» وعلى رأسها السلطان بركيا روق ومملكة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها أبو حرث سنجر ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش ومملكة دمشق وعلى رأسها شمس الملوك دقاق بن تتش ، وأخيراً سلطنة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى وعلى رأسها تاج ارسلان بن سليمان بن قتلمش . (٤)

واستغلت الدولة الخوارزمية هذه الظروف لتحقيق أهدافها . فنجحت فى تكوين امبراطورية واسعة الأرجاء بلغت أقصى اتساعها فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى — بدايات القرن السابع الهجرى فى عهد السلطان علاء الدين خوارزم شاه (١١٩٩ — ١٢١٩م — ٥٩٦ — ٦١٧ هـ) . فامتدت من جدود العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالا إلى الخليج الفارسى والمحيط الهندى جنوباً . وضمت هذه الدولة مدناً

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ٢ ص ٢٠٩ ، ابن الوردى : تتمه المختصر فى أخبار البشر حـ٢ ص ٩—١٠ .

(٢) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩ .

(٣) الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧٦ .

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ١ ، ص ١١٤ محمد الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ص ٣٦ . راجع كذلك :

CaM. Med. Hist., IV, p. 317.

من أمهات المدن الاسلامية نخص بالذكر منها بخارى وسمرقند (١). ويرجع الفضل الكبير فى اتمام هذه الفتوحات إلى جلال الدين منكبرتى (٢) .

ووجد علاء الدين خوارزم شاه أنه ليس من اليسير عليه السيطرة التامة على كل هذه الأراضى وضمان بقائها على ولائها لأسرته . ولذلك قسمها بين أبنائه الأربعة بحكم كل منهم جزءاً منها ويتولى تصريف أمور الاقاليم الذى من نصيبه على أن يكون الأب هو المرجع الأول لكل من هؤلاء الأبناء إذا ما صادفوا أى عائق (٣) .

وجدير بالذكر أن علاء الدين خوارزم شاه كان قد أوصى بالملك بتأثير من أمه إلى ابنه الأصغر ازلانج شاه ، ولكنه مالبث وأن تراجع فى قراره وحول ولاية العهد لأبنه الأكبر جلال الدين منكبرتى (٤) .

وكان لظهور المغول بقيادة جنكيز خان آنذاك أثره السيىء على هذه الامبراطورية . فكانت جيوشه تعمل التخريب فى كل ما صادفه فى البلاد التى وطئتها ، وكان من ضمنها ممتلكات الدولة الخوارزمية . ولما يأس علاء الدين خوارزم شاه من الوقوف أمام جحافل المغول صمم على الابتعاد عن مسرح احداث الحرب والسياسة وهرب إلى الأقاليم الغربية من الدولة

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ٤ ص ٣٢٣ ، حافظ حمدى : المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) كان الركن الشرقى من الدولة الخوارزمية من نصيب ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتى ويتكون من مدينة غزنة وباميان الواقعة فى أعالى نهر جيحون فضلا عن بعض البلاد الواقعة غرب حوض نهر السند . أما الأقاليم الشمالية تشمل خوارزم وخراسان ومازندان فكانت من نصيب ابنه قطب الدين ازلانج شاه . بينما كانت الأقاليم الجنوبية وتشمل كرمان ومكران من نصيب غياث الدين شيرشاه ، أما ابنه ركن الدين غورشاه فقد حكم الأقاليم الغربية وتشمل العراق ؛ أنظر ابن الوردى : المصدر السابق جـ٢ ص ١٥٤ ، حافظ حمدى : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) ابن الوردى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

الخوارزمية . فأرسل جنكيز خان فى أثر السلطان الخوارزمى فرقتين تتكون كل منهما من ألف مغولى لمطاردته وهو يتنقل من بلد إلى آخر حتى وصل الأمر إلى اقليم مازندان جنوبى بحر قزوين ثم التجأ إلى احدى جزره . ولم يستطع المغول الوصول اليه . فمات أخيراً فى هذه الجزيرة عام ١٢٢٠م — ٦١٧ هـ . (١) وواصل المغول تخريبهم للمدن الخوارزمية ، وكانت خاتمة انتصاراتهم فى اقليم غزنة حيث أخذ جلال الدين منكبرتى على عاتقه مهمة مقاومة المغول والثأر لأبيه . فقاد جيشاً كبيراً وسار للاقاة المغول شمال مدينة غزنة وانتصر عليهم انتصاراً مؤقتاً . ولكن سرعان ما انقسم جيشه على نفسه وشعر جلال الدين بعدم استطاعته لملاقاة قوات جنكيزخان فاضطر إلى الانسحاب إلى السهل الواقع غرب نهر السند وفى نيته عبور هذا النهر إلى الانسحاب إلى السهل الواقع غرب نهر السند ، وفى نيته عبور هذا النهر إلى بلاد الهند لعله يجد هناك ملجأ أميناً . ولكن قابلته جيوش المغول وهزمته مرة أخرى شر هزيمة . غير أنه تمكن من الهروب إلى الهند ومعه أربعة آلاف من اتباعه . وبعد أن اطمأن جنكيز خان على سيطرته على كل أقاليم الدولة الخوارزمية وتشريد وقتل الأسر الخوارزمية ، شرع فى العودة إلى بلاده عام ١٢٢٣م — ٦٢٠ هـ . ولذلك عاد جلال الدين إلى بلاده ، عام ١٢٢٥م ٦٢٢ هـ ونجح فى أن يعيد نفوذه مرة أخرى على أقاليم خوارزم وغزنة وفارس وخراسان وغيرها ثم أخذيوسع نفوذه على حساب القوى الموجودة شمال الدولة الخوارزمية ، ومن أهمها أذربيجان وجورجيا . (٢) .

ووجد الخوارزمية فى صراعات البيت الأيوبى فى مصر والشام فرصة طيبة لتقوية نفوذهم فى منطقة الشرق الأدنى على حساب أمراء هذا البيت .

---

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ص ١١ .

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة ، المقريزى : السلوك جـ١ ، ق١ ص ٢٥٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

غير أن الملك الأشرف بن العادل تنبه إلى خطرهم فهرع إلى أخيه المعظم عيسى صاحب دمشق عام ١٢٢٦م — ٦٢٣ هـ طالباً منه العمل بسرعة لتوحيد جبهة البيت الأيوبى أمام خطر الخوارزمية الذين باتوا يهددون كل أرجاء الدولة الأيوبية . وكان الأشرف أكثر احساساً بخطرهم بحكم متاخمة بلاده—فى الجزيرة وخلاط — لهم فى أقاليم جورجيا . (١) وقد استقبله المعظم عيسى استقبالا حسناً ، ولكنه بعد ذلك أراد أن يستغل الفرصة التى اتيحت له فقبض على أخيه الأشرف فى دمشق ورفض أن يطلق سراحه إلا بعد أن تعهد له بمساعدته فى الاستيلاء على حمص وحماه وكانتا تابعتين لأسد الدين شيركوه وقليج أرسلان على التوالى (٢) ثم مهاجمة أخيهما الكامل محمد سلطان مصر . فوافق الأشرف مضطراً بعد أن وصلته الأخبار بحصار الخوارزمية لعاصمة ملكه «خلاط» . وعند ذاك سمح له المعظم بعد عشرة شهور من سجنه بالعودة إلى أرضه فى جمادى الآخر ٦٢٤هـ — يونيو ١٢٢٦م . والواقع أن المعظم عيسى لم يكن يهدف إلى تدمير سياسة أخيه الأشرف ، وإنما تحديد قوته وحماية نفسه ضد أى تحالف يمكن أن ينشأ بين الأشرف والكامل محمد ضده . (٣)

وبمجرد وصول الأشرف إلى الرقة أعلن رسمياً عدم التزامه بجميع ما تقرر بينه وبين أخيه المعظم ثم اتجه إلى الملك الكامل وأخبره بحقيقة الأمر وأكد تحالفه معه . (٤) فثار المعظم عيسى لتصرف أخيه الأشرف فى الوقت الذى كانت فيه المفاوضات مفتوحة بينه وبين الخوارزمية . ففكر عند ذاك فى

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ٢ ص ٩٩٨ .

(٢) كان الملك المعظم قد طمع فى حماه وبعض أعمالها فحاصرها واستولى عليها . ولكن الأشرف والكامل انزعجا لذلك ، ووحدا جهودهما وأجبرا المعظم على الرحيل عنها فتركها حانقاً فكان ذلك بداية لخلاف بين الأخوة الثلاثة . انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق١ ص ٢٥٠ .

(٣) Humphery, Frome Saladin to the Mongols, pp. 182—183.

Humphrey, Op. cit., p.183.

الاستعانة بهم لمناصرته ضد أخويه فكتب إلى جلال الدين منكبرتى واتفق معه على التحالف ضد الملكين الكامل والأشرف (١) .

وهكذا التهب الموقف فى الشرق الأدنى ، وأصبحت الأمور تنذر بقيام حرب أهلية جديدة بين أفراد البيت الأيوبى .

وجدير بالذكر أن وجه الخطورة فى هذا النزاع الذى نشب بين أبناء العادل ، هو أن كلا من الفريقين استعان بقوى خارجية . ففى الوقت الذى تحالف فيه المعظم عيسى مع الخوارزمية نجد أن الملك الكامل محمد قد استعان بالأمبراطور فردريك الثانى ليجبر أخيه المعظم على التخلى عن حلفائه الخوارزمية ، ويعيد خضوعه اليه مرة أخرى . (٢) .

فأرسل الملك الكامل إلى الامبراطور فردريك فى صقلية مبعوثاً خاصاً هو الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ وطلب منه الحضور إلى الشام والساحل ليتسلم بيت المقدس وكل فتوح صلاح الدين بالساحل مقابل مساعدته ضد المعظم وحلفائه الخوارزمية(٣). وقد أحسن فردريك الثانى استقبال مبعوث الملك

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق١ ص ٢٥٨ راجع أيضاً :
Hymphreyop. cit., Loc,cit

ولمزيد من التفصيلات عن علاقة الخوارزمية بأمراء بنى أيوب أنظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٢ ص ٤٨٩ ، ٤٩١ — ٤٩٥ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٥٨ راجع أيضاً :
Humphrey, op. cit., p. 184

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق١ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، المجلد العاشر لوحة ٨٨ ، راجع أيضاً :
Richard, The Latin Kingdom, p. 232, Prawer, Histoire du Royaume Latin de Jerusalem, II, p. 176, Setton, A History of the Crusades, II, p. 449, Runciman, History of the Crusades, III, P. 184, Stevenson, The Crusaders in the East, p. 310 Blochet, Le Relations Diplomatiques des Hohenstaufen avec les Sultan D'Egypte, cf. Revue Historique, Vol. 80 (pp. 51-69), 1902, p. 54.

الكامل . ثم رد عليه بسفارة مماثلة برياسة بيرارد رئيس اساقفة بالرمو والكونت توماس أوف أسرا Thomas of accerra تحمل هدايا وتحفاً غربية . فتلقى السلطان الكامل رسول الامبراطور وهداياه بالسرور وكان قد أعدللأمبراطور هدايا فاخرة من تحف الين والهند والعراق ومصر (١). وفى طريق عودة السفارة مرت بدمشق لتطلب من الملك المعظم تسليم بيت المقدس للامبراطور ولكنه أغلظ لرئيسها وقال له «قل لصاحبك ما أنا مثل غيرى ، ما له عندى إلا السيف» (٢) .

وجدير بالذكر إذا كان الملك الكامل قد أكثر فى الالحاح على الامبراطور فردريك لسرعة الحضور إلى الشرق لمساندته ضد الخوارزمية والمعظم عيسى صاحب دمشق إلا أن هذا المطلب لم يعد له فائدة عند وصول فردريك إلى عكا فى ابريل ١٢٢٨م – ربيع أول ٦٢٦ هـ بسبب وفاة الملك المعظم فى نوفمبر ١٢٢٧م – ذى القعدة ٦٢٥هـ والذى كان مصدر الخطر ثم تعيين ابنه الناصر داود خلفاً له . وهو شاب صغير له من الخبرة والقوة ما يجعله مصدر خطر على الملك الكامل . وقد ساعد هذا كثيراً كلا الأخوين الكامل محمد والأشرف إذا تمكنا بنوع من التحايل تارة وباستخدام القوة والعنف تارة أخرى ، من الوصول إلى اتفاق مع الناصر دواد يرضى جميع الأطراف ويؤدى فى نفس الوقت إلى استقرار الأوضاع بين أبناء البيت الأيوبى فى الشام (٣).وعلى ذلك لم تعد هناك حاجة إلى الملك الكامل فى معونة الامبراطور

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ١ ص ٢٦٠ .

(٢) أبوشامة : الذيل على الروضتين تحقيق عزت العطار ص ١٥١ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ص ٢٧٤ . أنظر أيضاً :
Humphrey, op. cit, p. 193.
وقد تم الاتفاق بينهم على أن يتنازل الناصر داود عن دمشق للأشرف ، ويعوض عنها بالكرك والبلقاء والشوبك والاغوار . بينما حصل الكامل لنفسه على البلاد الشرقية التى كانت قدعينت لناصر دود وهى حران والرها وغيرهما التى كانت بيد الملك الأشرف.وتنازل الناصر=

فردريك ، خاصة وأنه بعد موت الملك المعظم قد انحل الاتفاق المبرم بين دمشق والخوارزمية ، وعادت الأمور فى منطقة الشرق الأدنى مرة أخرى إلى مجراها الطبيعى .

على أية حال ، عندما وصل الأمبراطور فردريك إلى عكا فى ابريل ١٢٢٨م — ٦٢٦ هـ ، أصيب بخيبة أمل شديدة عندما علم بزوال سبب استدعائه إلى الشرق ، فأصبح فى موقف لا يحسد عليه . لأنه عندما خرج من بلاده كان متأكداً من اعطائه بيت المقدس . ولم يدر بخلد هنه فكرة نشوب قتال بينه وبين المسلمين ، بدليل أنه لم يحضر معه سوى خمسمائة فارس وهى قوة صغيرة لا تستطيع منازلة المسلمين فى معركة محلية محدودة . وفى نفس الوقت كان لايستطيع الاعتماد على صفوف الصليبيين فى بلاد الشام ، لأنه كان محروماً من الكنيسة ، ويأبى أى فرد التعاون مع رجل مطرود من رحمة الكنيسة حتى ولو كان هذا الرجل هو الامبراطور . وعلى ذلك لم يعد أمامه سوى الاستعطاف والتذلل لدى السلطان الكامل ، واستخدام كل الوسائل الدبلوماسية للوصول إلى غرضه والحصول على بيت المقدس . لأنه إن لم لم يحصل عليه فسوف يهتز عرشه فى الغرب الأوربى بل وربما يفقده (١) . والدليل على ذلك ما قاله فردريك إلى المسلمين فى الشرق من أنه «ماله غرض القدس ولا غيره ، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج»(٢).

=داود عن الشوبك لعمه الكامل فقبلها . ولمزيد من التفصيلات عن كيفية استقرار الأوضاع بين أبناء البيت الأيوبى بالشام ، واعادة تقسيم الممتلكات الأيوبية بين الكامل والأشرف والناصر داود أنظر : المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق١ ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، ٢٧٣ — ٢٧٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٢ ص ٤٧٣ — ٤٧٥ .

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ٢ ص ١٠٠٨ — ١٠٠٩ راجع أيضاً :
Blochet, op. cit., p. 56, Humphery, op. cit., pp. 197—198.

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق١ ، ص ٢٦٩ . راجع أيضاً :
Eracles, cf. R.H.C.-H. Occ., II, p. 369—370.

وبعد مفاوضات طويلة استمرت بين سلطان مصر الملك الكامل والامبراطور فردريك الثانى تخللتها استعطافات كثيرة من جانب الأمبراطور وافق الكامل محمد فى فبراير ١٢٢٩ — ربيع أول ٦٢٦ هـ على عقد اتفاقية يافا بين الطرفين لمدة عشرة سنوات حصل الصليبيون بموجبها على بيت المقدس وبيت لحم والناصره. على أن يبقى بيت المقدس على ما هى عليه من الخراب ، ولا يجدد أسوارها ، وأن يحتفظ المسلمون بالمسجد الأقصى فى القدس (١) .

وكان لهذه المعاهدة أثر كبير فى قيام المسلمين بثورة ضد الكامل ، لأنه فرط فى حقهم وفى بيت المقدس بصفة خاصة دون حرب أو قتال وأصبحت هذه المعاهدة وصمة عار فى جبين البيت الأيوبى بصفة عامة والملك الكامل بصفة خاصة (٢) .

ومع ذلك يرى الدكتور سعيد عاشور أن الكامل عندما وافق على شروط هذه المعاهدة كان بعيد التفكير ،لأنه أدرك بثاقب نظره أن قيام الامبراطور بتحصين يافا فى نوفمبر ١٢٢٨م — ذى الحجة ٦٢٥ هـ أثناء سوء موقفه فى المفاوضات انما يشكل خطراً كبيراً يخشى معه اتفاق الامبراطور مع بقية الجموع الصليبية بالشام للقيام بعمل حربى ضده . وفى هذه الحالة لا يجرؤ الكامل دخول حرب ضدالامبراطور والصليبين ،لأنه سيقع بين ثلاث قوى

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق ١ ، ص ٢٦٨ راجع كذلك :

Eracles, op. cit., II, p. 374, cf also : Grousset, op. cit, III, p. 307, Lamonte, The world of the Middle Ages, p. 504 Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 313, Runciman, op. cit., III, p. 187, King, The Knights Hospitallers in the Holy Land, p. 208, Blochet, op. cit. Loc. cit., Stevenson, op. cit., p. 311.

(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، ص ٢٦٩ .

هى : الصليبيين من ناحية، وابن أخيه الناصر داود من ناحية ثانية ، ثم الخوارزمية وسلطانهم جلال الدين منكبرتى الذى استنجد به الناصر داود ضد عمه — من ناحية ثالثة (١) .

ومهما كان من أمر فليس هناك أدنى شك فى أن الخوارزمية كان لهم دور كبير فى تطور العلاقات الصليبية الاسلامية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى (النصف الأول من القرن السابع الهجرى) . فمن الواضح أنه لولا سياسة السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرتى ورغبته فى تثبيت نفوذه وسلطانه عن حساب الصراعات الدامية بين أمراء البيت الأيوبى فى الشام ، ولولا تحالفه مع المعظم عيسى حاكم دمشق لمساندته فى صراعه ضد السلطان الكامل محمد لتغير وجه التاريخ بالنسبة للعلاقات بين الصليبيين والمسلمين . لأنه ما كان هناك أى داع فى الاتصالات السلمية وتبادل السفارات التى تمت بين سلطان مصر والأمبراطور الألمانى لطلب تأييده . ولربما كانت الحملة الصليبية السادسة بقيادة فردريك قد اتخذت شكلا مغايراً عما تمت عليه ، ومماثلا لباقى الحملات الصليبية السابقة من ناحية جلب ما يمكن جمعه من الرجال والسلاح والخيل لمنازلة المسلمين ، وليس الاكتفاء برفقة خمسمائة فارس فقط وفق ما جاء بهم فردريك . وفضلا عن هذا ما كان السلطان الكامل قد اضطر ، وهو بغير حاجة إلى مساعدة فردريك ، إلى الموافقة على ابرام معاهدة الصلح بينهما عام ١٢٢٩ م — ٦٢٦ هـ والتفريط فى حق المسلمين فى بيت المقدس بتسليمه إلى الأمبراطور فردريك . فكان ذلك بسبب الخوارزمية أيضاً وما استجد من نشاطهم فى المنطقة عندما تحالفوا مع الناصر داود وأيدوه ضد عمه سلطان مصر . فخاف الكامل محمد أن يدخل فى صراع ضد الامبراطور فيجد نفسه بين فكى الكماشة : قوات الصليبيين بالشام من ناحية ، وقوات الخوارزمية المؤيدة للناصر داود من

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٠١٠ — ١٠١١.

ناحية أخرى ، فيسلم نفسه إلى مصير تعس . كما أن هجمية الخوارزمية فى منطقة الشرق الأدنى قد أفزعت حكام المسلمين ، وجعلتهم لا يحاولون استغلال الظروف السيئة التى بات فيها الصليبيون بعد عودة فردريك إلى الغرب تاركا الصليبيين فى الشام دون ملك قوى أو شخصية بارزة ترعاهم . فلم يفكروا فى تلك الفترة فى استرداد بيت المقدس رغم بقائها غير محصنة ومن غير الأسوار ، وبدون جيش كبير للصليبيين يحميها .

على أية حال ، كان لتزايد خطر الخوارزمية فى المنطقة أثر كبير فى تقارب وجهات النظر بين حكام المسلمين فى البلدان المجاورة ، وتناسيهم ما بينهم من خصومات للقضاء على الخوارزمية . فتحالف الأيوبيون مع عدوهم السابق علاء الدين كيقباد الأول سلطان سلاجقة الروم ضد جلال الدين منكبرتى بعد نجاحه فى الاستيلاء على خلاط عاصمة ملك الملك الأشرف(١) واجتمع الجيش الأيوبى بقيادة الملك الأشرف مع قوات السلاجقة بقيادة كيقباد فى سواس ، ومنها زحفوا على خلاط ، ولما سمع السلطان جلال الدين منكبرتى بأمره هذه الحشود توجه بجيشه ولقيهم بناحية ارزنكان من بلاد أرمينيا ، وتقاتل الفريقان فى أغسطس ١٢٣٠ — رمضان ٦٢٧ هـ وانتهى الأمر بهزيمة الخوارزمية . وفر جلال الدين إلى آذربيجان بعد أن قتل معظم عسكره ، أما فى ميدان القتال ، أو ترديا من رؤوس الجبال التى كانت فى طريقهم ، واسترد الأشرف خلاط . واضطر جلال الدين فى النهاية إلى طلب الصلح بينه وبين الملك الأشرف وسلطان سلاجقة الروم ، فوافقا وتم الصلح بينهم(٢)

وفى غمرة هذه الأحداث مات جنكيزخان ، وتولى من بعده ابنه اجتاى عام ١٢٣١م — ٦٢٨ هـ الذى أرسل جيشاً كبيراً ضد الخوارزمية نجح فى

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، ص ٢٧٧ راجع أيضاً :
Setton, op. cit., II, p. 703.

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٤ ص ٢٩٨ — ٣٠٠ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ٦ ، ص ٢٧٣ .

هزيمتهم ، وقتل منهم عدداً كبيراً وأسر البعض الآخر . أما الجزء الثالث المتبقى فقد نجح فى الهرب مع جلال الدين ودخلوا ميافارقين . وبذلك نجح المغول فى الاستيلاء على كل أقاليم الدولة الخوارزمية . أما بالنسبة لجلال الدين منكبرتى فقد تم اغتياله بيد رجل كردى انتقاماً من الخوارزمية لما فعلوه بعائلته من قبل (١) .

وإذا كانت نهاية الدولة الخوارزمية قد تحددت بمقتل سلطانها جلال الدين منكبرتى ، واستيلاء المغول على أقاليمها ، فليس معنى هذا القضاء نهائياً على جموعهم ونهاية دورهم فى التاريخ . لأنهم بعد هزيمتهم على يد المغول ومقتل سلطانهم تشتتوا فى كثير من بلاد الشرق الأدنى يعرضون خدماتهم على كل من يبذل لهم الأرزاق من حكام المسلمين (٢). فكان الصالح أيوب سلطان مصر أكثر هؤلاء الحكام استخداماً لبعض جموع الخوارزمية منذ عام ١٢٣٦م — ٦٣٤ هـ (٣) . وكانوا يجوبون أقليم الجزيرة وشمال الشام يشنون الغارات ويمارسون عمليات السلب والنهب أينما ساروا . ولكن نجح حلف مكون من أمراء حمص وحلب فى انزال هزيمة قاسية بهم فى معركة دارت بين الفريقين عند حران عام ١٢٤١م — ٦٣٩ هـ (٤) . وسرعان

---

(١) النسوى : المصدر السابق ص ١٧ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣١٧ راجع كذلك :

Hayton, La Flor des Estoire de la Terre d'Orient, cf. R.H.C.-Doc. Arm., II, p. 146, Micahud Bibliotheque des Croisades, IV, p. 444, cf also : Humphrey, op. cit., p. 220, Setton, op. cit. II, p. 561.

(٢) النسوى : المصدر السابق ص ١٧ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، ص ٢٤١ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، جـ٨، ص ٤٦٢ ، ابن الوردى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٥ .

(٤) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق، جـ٨ ، ص ٤٨٧ ، أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٧٥ راجع كذلك :

Runciman, op. cit., III, p. 224.

ما أعاد الخوارزمية تنظيم صفوفهم ، ونجحوا فى اقامة مراكز لهم فى القرى الواقعة بين الرها وحران ، واستمروا فى عرض أنفسهم كمرتزقة لدى الحكام المسلمين (١) . وقد ساعدتهم الظروف إلى حد كبير إذ وجدوا فى انقسام البيت الأيوبى على نفسه فى هذه الفترة ، وكثرة الصراعات القائمة بين ملوكه مرعى خصباً يجددون فيه نشاطهم ويستمدون منه قوتهم ، فجاء وجودهم فى ذلك الوقت مصلحة كبرى لمستقبل العالم الاسلامى ، لأن الضربة القاضية التى تلقاها الصليبيون فى موقعة غزة عام ١٢٤٤م — ٦٤٢هـ إنما يرجع الفضل فيها إلى الخوارزمية ، للدور الكبير الذى لعبوه خلال هذه المعركة وقبلها عندما نجحوا فى اعادة بيت المقدس إلى المسلمين مرة أخرى وفق ما سيتضح فيما بعد .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من ظلم جلال الدين منكبرتى وسفكه للدماء إلا أنه كان سداً منيعاً بين المغول وتقدمهم فى بلاد المسلمين . فهلاكه تمكن المغول بعد ذلك من العراق وبلاد الروم والجزيرة ثم التطرق إلى الشام (٢) . ولم يتنبه الأيوبيون إلى هذه الحقيقة ، واستمروا فى انقسامهم على أنفسهم لاهم لكل منهم إلا توسيع حدود دولته حتى ولو كان هذا على حساب تماسكهم ووحدتهم ومستقبل العالم الاسلامى . ولعل ذلك يتضح فى انشقاق الملك الأشرف صاحب دمشق على أخيه الأكبر سلطان مصر الكامل محمد ، وتدبير ثورة شاملة ضده ، ولكنه مات قبل تنفيذ هذا (٣) . ولما خلفه أخوه الصالح عماد الدين اسماعيل فى حكم دمشق كون حلفاً ضد الكامل محمد يضم جميع ملوك بنى أيوب بأستثناء الناصر داود صاحب الكرك ، وتقى الدين الثانى صاحب حماه . ولكن سلطان مصر نجح فى القضاء على هذا

---

(١) Ibid, Grousset, op. cit., III, p. 410.

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٢٣ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢٩٤ ، ٤٩٦ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٠٠ .

الحلف أوائل عام ١٢٣٨م — ٦٣٥ هـ ، واستولى على دمشق (١) . وجاءت وفاة السلطان الكامل محمد كبداية لحلقة جديدة فى سلسلة أنهيار البيت الأيوبى لأنه بعد أن استولى الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد على دمشق عام ١٢٣٩م — ٦٣٦ هـ ، أوقعه هذا فى صراع عنيف ضد أخيه العادل الثانى سلطان مصر . كما حدث أيضاً فى نهاية العام نفسه أن نجح الصالح اسماعيل فى استرداد دمشق ، وأن يطرد منها الصالح أيوب (٢).ولكن فى عام ١٢٤٠م ٦٣٨ هـ نجح الأخير فى تدبير مؤامرة ضد أخيه العادل الثانى وعزله عن حكم مصر ، وجعل نفسه سلطاناً على مصر ودمشق . وعند ذاك دب الخلاف بينه وبين عمه الصالح اسماعيل ، مما أوقع الدولة الأيوبية فى حالة شديدة من الفرضى والاضطراب فى الوقت الذى كان فيه أعداؤها يتربصون بها منتظرين الفرصة المواتية للانقضاض عليها .

ولكن فى عام ١٢٤٣ م — ٦٤١ هـ أعرب كل من الطرفين عن رغبته فى اتمام الصلح بينهما ، وفتح صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات السلمية بين البلدين من ناحية ، وبين كل أمراء الدولة الأيوبية من ناحية أخرى (٣) ، وبعد تكرار تبادل المراسلات بين جميع الأطراف المعنية تم الاتفاق على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح اسماعيل ، ومصر للصالح أيوب ، وتبقى حمص وحماه على ما هى عليه (٤) . وأن تكون الخطبة والسكة فى جميع هذه البلاد للملك الصالح أيوب بعد أن أنكرتها عنه طوال المدة السابقة (٥). ووافق

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق جـ١ ، ق١ ، ص ٢٧٩ — ٢٨١ ، ٢٨٧ .

(٣) سبط ابن الجوزى :المصدر السابق ، جـ٨ ، ٤٩٠ ، ابن الوردى:المصدر السابق ، جـ٢ ، ١٧٣ .

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٧ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ٢، ص ٣١٤ راجع أيضاً :

Humphrey, op. cit., p. 272.

(٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٧ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق٢ ص ٣١٤ .

أيضاً صاحب دمشق على اطلاق سراح جميع الأسرى الذين تم القبض عليهم فى دمشق عندما استولى عليها بما فيهم الملك المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب والوريث الشرعى لأملاكه من بعد (١) . وتمت الموافقة أيضاً على تقسيم ممتلكات الناصر داود بين كل من مصر ودمشق حتى يتخلصوا منه ، ومن المشاكل التى كان يثيرها فى المنطقة ، ومن تهديده لكل منهما (٢) . ولكن لم تلبث وأن دبت الفتنة مرة أخرى بين مصر ودمشق ، وأنهار الصلح بين الطرفين ، وعادت الأمور بينهما إلى ما كانت عليه من بغض وعداء : وصراع دامى ساعد على التهاب الموقف فى شتى انحاء منطقة الشرق الأدنى الاسلامى ، مما كان له أكبر الأثر فى نشوب معركة غزة عام ١٢٤٤م — ٦٤٢ هـ (٣).

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ — ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ٢ ، ٣١٤ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ : ص ٣٢١ واجع أيضاً :

Humphrey, op. cit., Loc. cit.

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٨ أنظر أيضاً :

Humpherey, op. cit. Loc cit.

(٣) بعد أن وافق جميع الأطراف على شروط الصلح اتفقوا على أن يجتمع سفراء الدول الثلاث دمشق وحمص وحلب فى القاهرة ليقسموا يمين الولاء للصالح أيوب ويسمعوا قسمه على المحافظة على ممتلكات وحقوق الأمراء السوريين. وكادت الأمور تسير فى مجراها الطبيعى لولا أن تسلم جلال الدين الاخلاطى ، مندوب الصالح اسماعيل فى مصر ، قبل اتمام القسم الأخير لاقرار عملية السلام ، خطاباً من سيده مرفق به خطاب موجه من سلطان مصر إلى الخوارزمية يؤكد لهم أنه تظاهر بموافقته على عملية السلام حتى ينقذ ابنه من الأسر ، وأنه باق على عدوانه نعمه ، وأخذ يحثهم على غزو سوريا دفعة واحدة ، وضرورة الاستيلاء على دمشق . وفى الحال قدم جلال الدين الإخلاطى هذه الوثيقة إلى معين الدين بن الشيخ وزير سلطان مصر فعجز عن شرح أى شىء ينفى به هذا الاتهام . وعند ذلك انقطعت المفاوضات وأعيد الملك المغيث إلى سجنه مرة أخرى ، وقطعت الخطبة للصالح أيوب ومسح اسمه من السكة . لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣١ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٢٢ ومن المراجع الأجنبية أنظر :

Humphrey, op. cit. pp. 273—274.

وقد تكاتفت ملوك الشام بعد ذلك ضد سلطان مصر ، وكونوا حلفاً قوياً شمل دمشق وحمص وحلب . هذا ، فى الوقت الذى حسن فيه الصالح اسماعيل علاقته مع الناصر داود وضمه إلى هذا الحلف. وعلى الرغم أن هذا الحلف كان يشكل قوة كبيرة ، إلا أنه كان لا يستطيع الوقوف أمام تحالف سلطان مصر والخوارزمية (١). ولهذا فكر أمراء الشام وعلى رأسهم الصالح اسماعيل فى الاستعانة بالفرنج ، ولكن آثروا التريث قليلا قبل الموافقة على تأييدهم ، لأنهم وجدوا فى انقسام البيت الأيوبى على نفسه فرصة كبيرة لهم لكى يتبعوا سياسة ذات وجهين مع ملك دمشق وسلطان مصر حتى يحققوا فى النهاية أكبر قدر من المكاسب على حساب المسلمين جميعاً دون عناء(٢) ، خاصة وهم يدركون تماماً أن الصالح أيوب يبحث بدوره عن حليف يشد أزره فى صراعه ضد صاحب دمشق (٣).

فى بداية عام ١٢٤٤م — ٦٤٢ هـ كتب مقدم الداوية أرماند أوف بريجورد Armand of Perigord إلى السلطان الصالح أيوب يعرض عليه مساعدة الفرنج له مقابل منحهم غزة وحبرون ونابلس والداروم . وقد وافق السلطان فى بداية الأمر ، ولكن مالبث وأن رجع فى موافقته بعد أن أدرك أن هذا التنازل سوف يقطع حلقة الصلة بين مصر والشام مما يشكل خطراً كبيراً على ممتلكاته فى كل من البلدين (٤) . هذا ، وإن كان يتضح من نص الخطاب الذى أورده المؤرخ الانجليزى متى الباريزى فى كتابه «التاريخ الانجليزى» والصادر من أرماند مقدم الداوية إلى الواعظ الانجليزى روبرت أوف

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣٢ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق١ ، ص ٣١٤ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق جـ٦ ، ص ٣٢٢ . راجع أيضاً :

Humphrey, op. cit., Loc. cit

(٢) Smail, the Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 33, Richard, op. cit., p. 333, CaM. Med. Hist., V, p. 315.

(٣) Prawer, Histoire du Royaume Latine de Jerusalem, I, p. 307.

(٤) Ibid.

ساند فورد Robert of Sandford عام ١٢٤٤م – ٦٤٢ هـ، أنمن أسباب فشل المفاوضات مع الصالح أيوب هو عدم موافقة بارونات المملكة اللاتينية ورجال الدين على عقد هدنة مع سلطان مصر ، وتفضيلهم التعاون مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق لأن التحالف معه يعنى التحالف أيضاً مع الناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور ابراهيم صاحب حمص (١) . هذا بالرغم من أن الأمبراطور فردريك الثانى قد أوضح فى خطابه المرسل إلى كل أمراء وملوك العالم المسيحى الغربى بشأن هزيمة الفرنج فى معركة غزة عام ١٢٤٤م – ٦٤٢ هـ أنه كان يؤيد فكرة تحالف الصليبيين مع سلطان مصر لثقته الكبيرة بملوكها بعد أن حافظ الملك الكامل محمد من قبل بكل قيود المعاهدة المبرمة معه عام ١٢٢٩م – ٦٢٦ هـ (٢) .

على أية حال ، انتهى الأمر بموافقة الصليبيين على مساعدة الصالح اسماعيل وحلفائه ضد سلطان مصر ، على أن تكون سيطرة الصليبيين على بيت المقدس تامة ومطلقة ، بمعنى أن يستولى الصليبيون على الحرم الشريف بما فيه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة (٣). وأن تسلم اليهم كذلك طبرية وعسقلان وكوكب ، ويسمح لهم بتحصين قلاعها (٤). واتجه الصليبيون

---

(١) «.... وقد رفض بارونات المملكة اللاتينية ورجال الدين اقامة هدنة مع سلطان مصر ، ووجدوا أن من صالح الفرنج التحالف مع سلطان دمشق والناصر داود سيد الكرك ...» لمزيد من التفصيلات أنظر :

(٢) Matthew Paris, English History, I, p. 483.
HistoriaDiplomatica Fridrici Secundi, VI, part I, p. 239.

(٣) ابن واصل : المصدر السابق حـ٥ ، ص ٣٣٢ ، ابن الوردى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٣ . ومن المصادر والمراجع الأجنبية أنظر :

Matthew Paris, op. cit., I, p. 497, Prawer, Military Orders and Crusaders Political in the Second half of XIII th Century, p. 224.

(٤) ابن واصل : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٥ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، حـ٦ ، ص ٣٢٢ راجع كذلك :

Amadi, Chroniques d'Amadi, p. 185, cf also : Stevenson, op. cit., p. 322.

على الفور ناحية بيت المقدس وعلى رأسهم البطريرك اللاتينى روبرت ورجال الدين وبدأت الكنائس فى دق أجراسها معلنة عن بدء نشاطها . وجهز كل من الداوية والاسبتارية الترتيبات اللازمة لاعادة تحصين المدينة المقدسة (١) .

وجدير بالذكر أن الصالح اسماعيل وحلفاؤه قد وعدوا الصليبيين بمنحهم جزءاً من أراضى مصر إذا هزموا السلطان المصرى واستولوا على الديار المصرية (٢) . وقد أعدت الترتيبات بين الجيوش المتحالفة على أن يرسل الصالح اسماعيل قواته إلى غزة لغلق الطريق الموصل بين مصر وبيت المقدس بينما يستقر الناصر داود بجيشه بالقرب من القدس ليتمكن من صد أى تقدم مصرى على وجه السرعة . أما المنصور ابراهيم صاحب حمص فكان على عاتقه الذهاب إلى عكا لاعداد الترتيبات والتجهيزات الأخيرة مع الفرنجة استعداداً لبدء المعركة . وقد اتفقوا جميعاً على أن تتجمع القوات الصليبية السورية خارج عكا فى صيف ١٢٤٤م — ٦٤٢ هـ (٣).

وإزاء ذلك الخطر المشترك شعر الصالح نجم الدين أيوب أن بلاده مهدده بالغزو والاستيلاء عليها ولذلك لم يجد بداً فى ذلك الموقف الحرج من الاستعانة بالخوارزمية (٤) . ووعدهم فى مقابل هذا أن يمنحهم الاستقرار فى بيت

---

(١) King, op. cit., p. 231, Smith, The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus, p. 181

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣٢ ، أبو الفد : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨١ راجع أيضاً :

Humphrey, op. cit., p. 274, Richard, op. cit. p. 333, Smith, op. cit. Loc. cit, Michaud, Histoire des Croisades, IV, p. p. 26, Setton, op. cit., II, p. 561.

(٣) Humphrey, op. cit. Loc. cit, Setton, op. cit. loc. cit.

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، حـ٥ ، ص ٣٣٦ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، قـ٢ ، ص ٣١٥ أنظر أيضاً :

Stevenson, op. cit., p. 322, Richard, op. cit. Loc cit, King, op. cit, p. 231.

المقدس وجزء من أراضى مصر(١) . ولم تكد دعوة الصالح أيوب تصل إلى الخوارزمية فى يونيو ١٢٤٤م – محرم ٦٤٢ هـ حتى اندفع عشرة آلاف منهم فى فرحة كبيرة بقيادة مقدمهم الأمير حسام الدين بركة خان نحو بلاد الشام الصليبية يخربون البلاد ويشعلون الحرائق فى القرى ، وما مروا بموضع إلا نهبوه وعاثوا فيه وقتلوا وسبو (٢) . وكانوا قد انقسموا إلى قسمين : أحدهما اجتاز بقاع بعلبك ، والآخر قصد غوطة دمشق ، وكانت دمشق نفسها حصينة فأتجهوا صوب الجليل حيث استولوا على طبرية ، ثم على بانياس ، ومنها قصدوا بيت المقدس فى ١١ يوليو ١٢٤٤م – ٣ صفر ٦٤٢ هـ (٣).

ولما علم الصالح اسماعيل بهذا الأمر حصن دمشق واعتصم بها ، واستدعى جنوده من غزة ففارقوها وعادوا إلى دمشق ، ورحل الملك الناصر داود إلى الكرك ، وهرب كثير من الفرنجة الذين كانوا بالقدس (٤) . وعندما وصلت جموع الخوارزمية بيت المقدس لم تجد بها حامية قوية ، فكانت أشبه بمدينة مفتوحة ضعيفة التحصين (٥). فساعدهم هذا إلى حد كبير على دخول المدينة بدون عناء . ووقع القتال فى الشوارع وبذلوا السيف فيمن كان بها من

---

(١) Eracles, op. cit., p. 427, Matthew Paris, op. cit., p. 491, cf also : Besant, The History of Jerusalem, p. 513, Michaud, op. cit., IV, p. 27.

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣٦ ، المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٦ . راجع كذلك :

Michaud, Bibliotheque des Croisades, IV, pp. pp. 444—445, cf also : Setton, op. II, p. 561, King, op. cit., p. 208.

(٣) Prawer, Histoire du Royaume Latin, II, p. 310, Setton, op. cit. Loc cit.

(٤) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣٧ .

(٥) Eracles, op. cit., p. 428, Michand, op. cit., IV, 445, cf. also : Prawere, op. cit., p. 307.

أهلها من المسيحيين حتى أفنوا الرجال وسبوا النساء والأولاد (١) : وقد انتهك الخوارزمية حرمة المقدسات الدينية ، فاقتحموا الكنائس وهدموها مثل كنيسة القديس يعقوب Saint Jacques في حي الأرمن ، ودير القديس جيمس Saint James ، وذبحوا كل من بداخلها من قساوسة ورهبان وعلمانيين (٢) . ولم يكتفوا بذلك بل دخلوا كنيسة القيامة ، ونهبوا آثارها المقدسة ، وامتدت أيديهم إلى القبر المقدس وحطموه ، ثم انتهكوا حرمة مقابر ملوك اللاتين الأول أمثال جود فرى وبلدوين ففتحوها وآحرقوا مخلفاتها ونهبوا كل ما فيها من آثار مقدسة ومجوهرات (٣). وقاموا بعد ذلك بذبح المسيحيين البؤساء الذين اتخذوا من هذه الكنيسة ملجأهم وهرباً من سيوف الخوارزمية (٤) .

ومع ذلك فقد جهز سادة الداوية والاسبتارية فرقة كبيرة لتلبية النداء فى الدفاع عن المدينة ، وانقاذ البقية الباقية من سكانها . ولكنها سرعان ما تقهقرت وعادت فى الحال بعد أن علمت بتحطيم أسوار المدينة ، وآدركت صعوبة وخطورة الوصول اليها وهى على هذه الحالة ، مما يزيد من خسائر الفرنج (٥) خاصة وأنهم كانوا يجهزون فى هذا الوقت قواتهم فى عكا بقصد

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، ذات الجزء والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٧ .

(٢) Chronical of Melrose, cf. Church Historians of England, t. IV, Part, I. p. 188 cfalso : Prawer, op. cit. Loc. cit, King op. cit., p. 232.

(٣) Rothelin, cf. R.H.C.-H. Occ., II, p. 562, Michaud, Bibliotheque des Croisades, IV, p. 445, Chronical of melrose, IV part, I, p. 190, Historia Diplomatica Fredrici Secundi, t. IV, part, I, p. 238, cf also : Lamb, The Crusades, p. 280, Iorga, Histoire des Croisades, p. 166, king, op. cit., 232, Prawer, op. cit., p. 311.

(٤) Rothelin, op. cit. Loc cit, Chronical of Melrose, op. cit. Loc cit, Matthew Paris, op. cit. I, p.524 .

(٥) King, op. cit. Loc cit.

الهجوم المشترك بينهم وبين السوريين ضد مصر (١) .

وهكذا أصبح سكان بيت المقدس فى موقف لا يحسدون عليه ، لأنهم عانوا كثيراً من شدة الجوع وقلة الأسلحة وحالة الرعب الشديد الذى كانوا يعيشون فيه ، بجانب عمليات الارهاب والعنف التى تعرضوا اليها من قبل الجنود الخوارزمية (٢) . وقد كان لهذا أثره السيىء فى نفوس مسيحيى العالم الغربى وسائر الفرنج الموجودين فى عكا . ولكن مع ذلك ، ورغم كثرة طلبات النجدة المرسلة من السكان المحاصرين بالمدينة إلى بنى جلدتهم فى عكا ، لم يتمكن هؤلاء من امدادهم بالمساعدات اللازمة لكثرة اعداد الخوارزمية من ناحية ، وشدة الحصار المفروض على المدينة من ناحية أخرى . فكان لا يوجد أى منفذ فى المدينة يمكن التسلل منه إلا وأن يمر أمام جيش الخوارزمية (٣) .

وفى ضوء هذه الظروف ، لم تتمكن حامية المدينة من الصمود طويلا أمام قوات الخوارزمية ، واضطرت إلى الهرب إلى برج داود . ولكنها لم تصمد فى المقاومة أكثر من ستة أسابيع ، ثم استسلمت بعد ذلك (٤).

وعلى الرغم من كل هذه المذابح التى تعرض لها سكان بيت المقدس ، لم تقف الفرنج موقفاً سلبياً تجاه اخوانهم المحاصرين فى المدينة المقدسة ، وإنما بعثوا بسفارة إلى الناصر داود صاحب الكرك ، وهو أقرب الحلفاء المسلمين اليهم يرجونه مساعدتهم فى تأمين خروج الفرنجة من بيت المقدس والسير حتى يافا ، وكذلك السماح للراهب سيمون رئيس الوعاظ بالدخول فى المدينة

---

(١) Prawer, op. cit. Loc cit.

(٢) Chronical of melrose, op. cit., p. 188.

(٣) Chronical of Melrose, op. cit., p. 189, Matthew Paris, op. cit, I, p. 499.

(٤) Brundage, The Crusades, A Documentary Survey, p. 233, Humphrey, op. cit., p. 272.

لتشجيع المسيحيين الموجودين بداخلها وتثبيت ايمانهم . فوافق الناصر داود على هذا ، ووعد بالذهاب بنفسه إلى الخوارزمية لاقناعهم بالموافقة (١) .

ومما يثير الدهشة والتساؤل ، أن الناصر داود وافق أن يتوسط للفرنج لدى الخوارزمية ويرجوهم فى مثل هذا الشأن ، على الرغم من أنه كان متحالفاً مع باقى امراء الشام والفرنج ضدهم . الواقع أن المصادر العربية والأجنبية المعاصرة لهذه الفترة أو المتأخرة عنها زمنياً ، لم تمدنا بأية تفصيلات تعلل سبب هذا التناقض . ومع ذلك فاننا نرى ، من خلال تتبع الأحوال والظروف فى المنطقة ، إنه ربما كان لصلة القرابة القوية التى تربط بين الناصر داود من جهة والخوارزمية من جهة أخرى ، أثرها فى التأثير عليهم ، لأن أمه خوارزمية الأصل (٢) . فكأنه عندما توجه اليهم ورجاهم لصالح الفرنج لم يكن هذا بصفته سلطاناً للكرك ، وإنما بدافع صلة القرابة . وعندئذ فعندما تحدث اليهم إنما كان يتحدث مع أخواله وأقاربه ، وليس مع اعدائه . وتدعيما لهذا الرأى ، وعلى ارتياح الخوارزمية فيما بعد للتعامل مع الناصر داود . انهم استمالوه اليهم للوقوف معهم ضدالملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٦م — ٦٤٤ هـ وفق ماسيتضح فيما بعد(٣) . وكذلك عندما فضل عدد كبير منهم الدخول فى خدمته بعد هزيمتهم الساحقة وتشتت شملهم فى نفس هذا العام على أيدى قوات المنصور ابراهيم صاحب حمص المتحالفة مع الجيش المصرى . فكانوا سنداً قوياً له فى كل المعارك التى خاضوها ضد منافسيه (٤) .

على أية حال عندما قرر الملك الناصر التوجه إلى الخوارزمية أصر الواعظ

---

(١) Chronical of Melrose, op. cit. loc. cit.

(٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٢٥ .

(٣) أنظر فيما بعد ص .

(٤) أنظر ص .

سيمون على مرافقته فى رحلته إلى بيت المقدس . وعند وصوله اجتمع بكل المسيحيين الموجودين هناك وأخذ يعظهم ويرفع من روحهم المعنوية . كما منحهم الغفران نيابة عن البطريرك ، ثم أبلغهم بمحاولات الناصر داود لدى الخوارزمية لضمان الأمان لهم عند الخروج من بيت المقدس . وأخيراً حذرهم بعدم الخروج من المدينة إلا بعد الحصول على وثيقة الامان من السلطان . وعقب انتهاء الاجتماع أعربوا عن استيائهم الشديد للراهب لثقة الفرنج فى صك الأمان الذى سيمنحهم أياه الخوارزمية . وأجمعوا على أنهم يفضلون الموت جوعاً داخل المدينة المقدسة ، عن الثقة أو الاعتماد على هؤلاء الخوارزمية . وقرروا فى النهاية أنهم لن يغادروا المدينة وسيبقون منتظرين المساعدة الالهية لهم (١) . وعند ذاك غادر الراهب سيمون المدينة ، وفى طريق عودته إلى يافا زار السلطان الناصر داود واستلم منه وثيقة تأمين طريق الفرنج عند مغادرتهم بيت المقدس (٢) . ولكن حدث فى ذلك الوقت أن استسلمت حامية المدينة فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس عام ١٢٤٤م ١٥ ربيع الأول ٦٤٢ هـ ، فأعمل فيهم الخوارزمية الذبح (٣) . وفى مساء هذه الليلةهرب من المدينة حوالى ستة آلاف من أهلها من الرجال والنساء والأطفال ، وتركوها للخوارزمية متخذين طريقهم ناحية يافا (٤) . ، ولم يبق فى المدينة سوى أصحاب العاهات والمسنين ، فشن الخوارزمية عليهم

---

(1) Chronical of Melrose, op. cit. Loc. cit.

(2) Ibid.

(3) Matthew Paris, op. cit, p. 498, Hayton, La Flor des Estoire de la terre d'Orient, Cf. R.H.C. -Doc. Arm., II,'p. 146, cf. also : Brundage, op. cit. p. 233., Smith, op. cit., p. 181, Cam Med. Hist., V p. 315.

(4) Rothelin, op. cit., p. 564, Matthew Paris, op. cit., I, p. 498, cf. also : Setton, op. cit., II, p. 562, Prawer, op. cit., p. 311.

هجوماً قاسياً وقتلوهم جميعاً ، وأصبحت المدينة شبه مهجورة (١) . ولم يكد المسيحيون يبتعدون عن بيت المقدس حتى تطلعت منهم جماعة إلى الوراء لالقاء النظرة الأخيرة على مدينتهم المقدسة ، فشاهدت أعلام الفرنج ترفرف على أبراج المدينة وسمعوا رنين أجراس الكنائس معلنة الصلاة فظنوا أن هناك بعض النجدات قد وصلت المدينة وانتصرت على الخوارزمية وأن هذه الأعلام اعلاناً لاستدعائهم للعودة مرة أخرى إلى المدينة (٢) . وأصر عدد كبير منهم على الرجوع . ولكن هذا الاصرار كان خطوة سريعة إلى مصيرهم التعس ، لأن الخوارزمية تعمدوا خداعهم بهذه الطريقة ولتأكيد هذا الخداع انسحبوا مسافة قصيرة عن مواقعهم . وعند ذاك عاد المسيحيون وهم مطمئنين ومعتقدين بأنهم سيكونون فى أمان . غير ما لبثوا أن وقعوا فى الكمين الذى أعده لهم الخوارزمية(٣) . فسرعان ما أحاطوا بهم من كل جانب ووقعت مذبحة كبيرة راح ضحيتها الكثير . وعندما حل الظلام تسلل الصليبيون الذين نجوا من المذبحة وحاولوا الهرب ولكنهم ضلوا طريقهم ، وسلكوا طرقاً صحراوية فى وسط الجبال . وعندما وصلوا إلى أحد الممرات الضيقة عند سهول الرملة ، فوجئوا بكمين آخر أعده الخوارزمية لهم ، فأحاطوا بهم من كل جانب وهجموا عليهم وقتلوهم عن آخرهم (٤).

أما بالنسبة لهؤلاء الذين لم يعودوا إلى بيت المقدس مع باقى اخوانهم ، وآثروا مواصلة طريقهم إلى يافا ، فقد تعرضوا لهجمات قطاع الطرق من

---

(١) Besant, op. cit., p. 513, Michaud, Histoire de Croisades, IV, pp. 27—28.

(٢) Matthew Paris, op. cit., I, p. 498, Rothelin, op. cit., p. 564, cf also : Setton, op. cit., ii, p. 562, Prawer, op. cit., p. 311, Besant, op. cit. Loc. cit.

(٣) Ibid.

(٤) Rothelin, op. cit., p. 564, Matthew Paris, op. cit., I, pp. 524-525, cf also: Besant, op. cit, Loc. cit.

العرب أثناء سيرهم تجاه البحر . وهلك منهم أكثر من ثلاثة آلاف مسيحى . أما البنات والأولاد فقد حملوا كأسرى وتم بيعهم فى أسواق العبيد . وعلى ذلك لم يصل منهم سالماً إلى يافا أكثر من ثلاثمائة فقط . ولكنهم كانوا فى حالة صحية سيئة للغاية ، ومات أكثر من نصفهم(١).

وجدير بالذكر ، إذا كان بعض المؤرخين القدامى المعاصرين لهذه الفترة الزمنية ، مثل روتلان ومتى الباريزى ، قد أوضحوا طريقة القضاء على هؤلاء المسيحيين الهاربين من بيت المقدس بالكيفية التى ذكرناها فان الخطاب الصادر فى ٢١ سبتمبر عام ١٢٤٤م — ١٣ ربيع ثان ٦٤٢ هـ من روبرت بطريرك بيت المقدس وغيره من كبار سادة الفرنج إلى البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣ — ١٢٥٣م) قد انفرد بذكر رواية أخرى تختلف عن تلك التى ذكرها هذان المؤرخان وتضمنت هذه الرواية أن عدد أكبر من الفرنج نجح فى الهروب ليلا من بيت المقدس دون اخبار بقية زملائهم من المسيحيين الموجودين معهم . وعندما وصلو إلى يافا وجه اليهم البطريرك وسادة الفرنج فى المدينة اللوم الشديد لخروجهم دون بقية اخوانهم . وبعد أيام قليلة ، وعلى وجه التحديد فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس ١٢٤٤م ١٥ ربيع الأول ٦٤٢ هـ هرب بقية سكان المدينة المقدسة باستثناء المسنين وأصحاب العاهات . وقد اتخذوا من الأقاليم الجبلية طريقاً سهلا لهروبهم بعيداً عن عيون الخوارزمية ، ولكنهم تعرضوا لهجمات قطاع الطرق من عرب الجبال فقتلوا منهم أكثر من ألفين بينما وقع كثير من النساء والأولاد والبنات فى الأسر وتم بيعهم كعبيد فى أسواق التحاسه . أما الذين نجوا منهم فقد واصلوا سيرهم حتى وصلوا سهول مدينة الرملة ، وهناك تلقفتهم سيوف الخوارزمية وقضت عليهم ماعدا ثلاثمائة منهم نجحوا فى الهرب والوصول إلى يافا وهم فى حالة صحية سيئة متأثرين بجروحهم فمات أكثر من نصفهم(٢).

---

(1) Matthew Paris, op. cit., I, pp. 524-525, cf also : Setton, op. cit., II, p. 562, Runciman, op. cit., III, p. 225.

(2) Chronical of Melrose, p. 190.

والواقع أننا لودققنا النظر فى كلتى الروايتين لوجدنا أن مضمونهما واحد غير أن المؤرخين متى الباريزى وروتلان قد اضافا واقعة الخدعة التى دبرها الخوارزمية لسكان المدينة عندما رفعوا أعلام الفرنج على أبراج المدينة لاستدراجهم اليها . وعلى ذلك يمكننا القول أنه عندما أغفل بطريرك بيت المقدس ذكر هذه الواقعة فى خطابه المرسل إلى البابا أنوسنت الرابع فان هذا لا يعنى عدم حدوثها أو اتهام البطريرك للتعمد فى اخفائها ، وإنما من المحتمل أن يكون الخطاب قد سقط منه سهواً بسبب الحالة النفسية السيئة التى كان يعانى منها وقت كتابة الخطاب بسبب حزنه وتألمه على فقد الفرنج بيت المقدس من ناحية ، وما أصاب المسيحيين من سكان المدينة المقدسة من قتل وتشرد وجوع على أيدى الخوارزمية من ناحية أخرى ، بالاضافة إلى الجرائم والفظائع التى اقترفها هؤلاء الخوارزمية فى حق المقدسات المسيحية من ناحية ثالثة . كما أننا لو تحققنا من تاريخ تدوين الخطاب نجده يرجع إلى الحادى والعشرون من شهر سبتمبر ١٢٤٤م ، أى أنه لم يكتب إلا بعد مرور شهر على وقوع الحادثة وهى مدة ليست قصيرة ويمكن أن تؤدى إلى نسيان بعض الوقائع ، خاصة فى مثل هذه الظروف الصعبة التى كان يعيشها المسيحيون فى ذلك الوقت . ونضيف إلى هذا أيضاً أن البطريرك لوكان قد تذكر هذه الحادثة ، لما تردد على الاطلاق فى ذكرها ، لأنه لايوجد سبب واحد يجعله يتعمد فى اخفاءها خاصة وهى تمثل نقطة سوداء تضاف إلى رصيد الخوارزمية فى المكر الذى اتصفوا به والفظائع والأعمال الوحشية التى ارتكبوها بأسم المسلمين ضد الفرنج ، خاصة وأن خطاب البطريرك قد اعتمد كلية على وصف وحشية الخوارزمية وهمجيتهم والمقارنة بين سياستهم تجاه المسيحين فى بيت المقدس وسياسة التسامح الدينى التى أظهرها صلاح الدين الأيوبى عندما استعاد المسلمون بيت المقدس عقب موقعة حطين عام ١١٨٧م — ٥٨٣ هـ .

ومهما كانت الأراء حول كيفية قضاء الخوارزمية على سكان بيت

المقدس ، فكنا ننتظر من المصادر والأصول العربية أن تمدنا بمعلومات تساعدنا على القاء بصيص من الضوء على تلك الخدعة التاجحة التى اتبعها الخوارزمية حيال سكان بيت المقدس لنقطع الشك باليقين . ولكن بالرغم من ذلك ، فاننا لا نستبعد حدوثها بما تضمنته من مكر وخداع ووحشية ، لأن هذه السياسة ليست بغريبة على الخوارزمية ويتفق مع ميولهم وطباعهم .

على أية حال بعد أن قام الخوارزمية بعملية نهب واسعة النطاق فى بيت المقدس ، حتى أصبح المكان قفراً موحشاً ، اتجهوا صوب غزة ، ومن هناك ارسلوا إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب يخبروه بقدومهم نصرته على عمه الصالح اسماعيل صاحب دمشق . فأرسل اليهم جيشاً بقيادة ركن الدين بيبرس ، ووعدهم بأن يمنحهم الشام (١) . وكانت جيوش الفرنج فى ذلك الوقت تحتشد خارج عكا ، وقد انضمت اليها جيوش حمص ودمشق بقيادة المنصور ابراهيم أمير حمص ، وجيش الكرك بقيادة الناصر داود . ثم اتجهت جموع هذه القوات فى الرابع من أكتوبر عام ١٢٤٤م ٢٦ ربيع ثان ٦٤٢ هـ ناحية غزة (٢) . ومما يؤسف له أن هذا الجيش الأيوبى قد سار تحت اعلام الفرنجة ،والصليبان على عسكر دمشق وفوق رأس المنصور ابراهيم صاحب حمص (٣) . وقد التقى الجيشان المتحاربان عند المنطقة الرملية الفاصلة بين غزة وعسقلان ، بالقرب من قرية «الحربية» Harbiyah المعروفة عند مؤرخى الحروب الصليبية باسم La Forbie ، وهى على

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ ، المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٦ – ٣١٧ .

(٢) المقريزى : نفس الجزء والصفحة راجع أيضاً :

Rothelin, op. cit., p 563, cf also: Setton, op. cit. Loc. cit

Besant,op cit., p. 514; Runciman, op. cit., III, p. 225.

(٣) سبط ابن الجوزى: المصدر السابق، جـ٨ ، ص ٤٩٤ ، المقريزى: المصدر السابق، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٧ .

بعد أميال قليلة من شمال شرق غزة (١) .

كان الجيش الصليبي يتكون من فرسان جميع بارونات المملكة اللاتينية وكذلك من مختلف الطوائف العسكرية الدينية الممثلة ببعض فرق من جماعة الفرسان الداوية بقيادة أرماند بريجورد ، وجماعة الفرسان الاسبتاريه بقيادة وليم شاتونوف وكتيبة من فرسان التيوتون . كما ساهمت أيضاً كل من قبرص وانطاكية وطرابلس بعدد كبير من الفرسان . فبلغ مجموع فرسان الفرنج المشتركين فى هذه المعركة ما يقرب من ثلاثة آلاف فارس ، يضاف اليهم ما يقرب من ألفين من القوات السورية بقيادة أمير حمص المنصور ابراهيم . هذا ، بجانب ما يقرب من عشرة آلاف من المشاه (٢) .وعلى ذلك كان الجيش الصليبي المشترك فى معركة غزة يمثل أكبر قوة تم تكوينها واعدادها لمعركة ضد المسلمين منذ معركة حطين عام ١١٨٧م – ٥٨٣ هـ (٣). ولكن مما يعيب تكوين هذا الجيش هو عدم وجود قائد واحد أساسى له ، وإنما يوجد العديد من القادة ، كل منهم يرأس مجموعة من المقاتلين ، وكان من بينهم فيليب دى مونتفرات صاحب صور ، والتربرين كونت يافا وليم سيد البترون ، وتوماس كند سطبل طرابلس فضلا عن مقدمى الطوائف العسكرية الدينية الثلاث السابق ذكرهم(٤) ولذلك فقد تكون ما يسمى باسم «مجلس الحرب» من كل هؤلاء القادة ليحل محل القائد العام فى عملية الاشراف على خط سير المعركة (٥).

---

(١) Setton, op. cit., II, p.. 563, Prawer, op. cit., p. 312, Humphrey, op.cit., p. 'p. 275.

(٢) Eracles, op. cit., p. 428, Matthew Paris, op. cit., I, p. 491, H Historia Diplomatica Fridrici Secundi, VI, part I, p. 237, cf also : Prawer, op. cit., pp. 312—313.

(٣) Runciman, op. cit., Loc. cit.

(٤) Eracles, op. cit., p. 430, cf also: King, op. cit., p. 233, Setton, op. cit., II, pp. 662—663.

(٥) King, op. cit., Loc. cit.

وقد تشكل الجيش الصليبي فى ثلاث مجموعات ، تضمن الجناح الأيسر الفرسان الاسبتاريه بقيادة والتر دى برين كونت يافا ، وتضمن الجناح الأيمن جيوش المسلمين المتحالفة مع الفرنج بقيادة المنصور ابراهيم صاحب حمص . بينما كان القلب برياسة مقدم الداوية ويضم فرسانه ، وقوات بارونات المملكة اللاتينية (١) . ومعهم روبرت بطريرك بيت المقدس حاملا الصليب الحقيقى وبرفقته بطرس رئيس أساقفة صور ، ورالف أسقف اللد والرملة (٢). أما الجيش المصرى فقد تألف من مجموعتين : الجناح الأيسر ويضم خمسة آلاف من أمهر المقاتلين بقيادة الأمير المملوكى ركن الدين بيبرس ، والجناح الأيمن ويتكون من عشرة آلاف من الخوارزمية بقيادة سيدهم بركة خان (٣).

وجدير بالذكر أن الصليبيين عقدوا مجلساً للحرب عند عسقلان قبل وصولهم إلى غزة . وأعرب فيه المنصور ابراهيم عن تخوفه من خوض المعركة ضد الخوارزمية والمصريين بسبب نقص امكانيات الفرنجة فى المؤونة وعدم ضمان وصولها بسرعة وبكميات وافرة من عكا . وأوصى بالعودة لتجنب الهزيمة . وفى نفس الوقت أشار عليهم بأنه إذا لم يكن هناك مفر من القتال فلابد من التريث فى الهجوم وأن يعملوا على تحصين معسكرهم جيداً . وأن يتخذوا جانب الدفاع خاصة وأن الخوارزمية يكرهون مهاجمة المواضع المنيعة ، ويملون من هذا النوع من القتال مما يؤدى إلى انسحابهم من ميدان القتال . وبالتالى لن يكن بوسع الجيش المصرى الاستغناء عنهم والقتال

---

(١) Joinville's Chronicle, p. 268, cf also : Michand, op. cit., IV, pp. 32—33, King, op. cit., p. 234, Lamb, op. cit., p. 280.

(٢) Setton op. cit., II, p. 563, Runciman, op. cit., III, p. 226,

(٣) King, op. cit., Loc. cit, Setton, op. cit., Loc. cit.

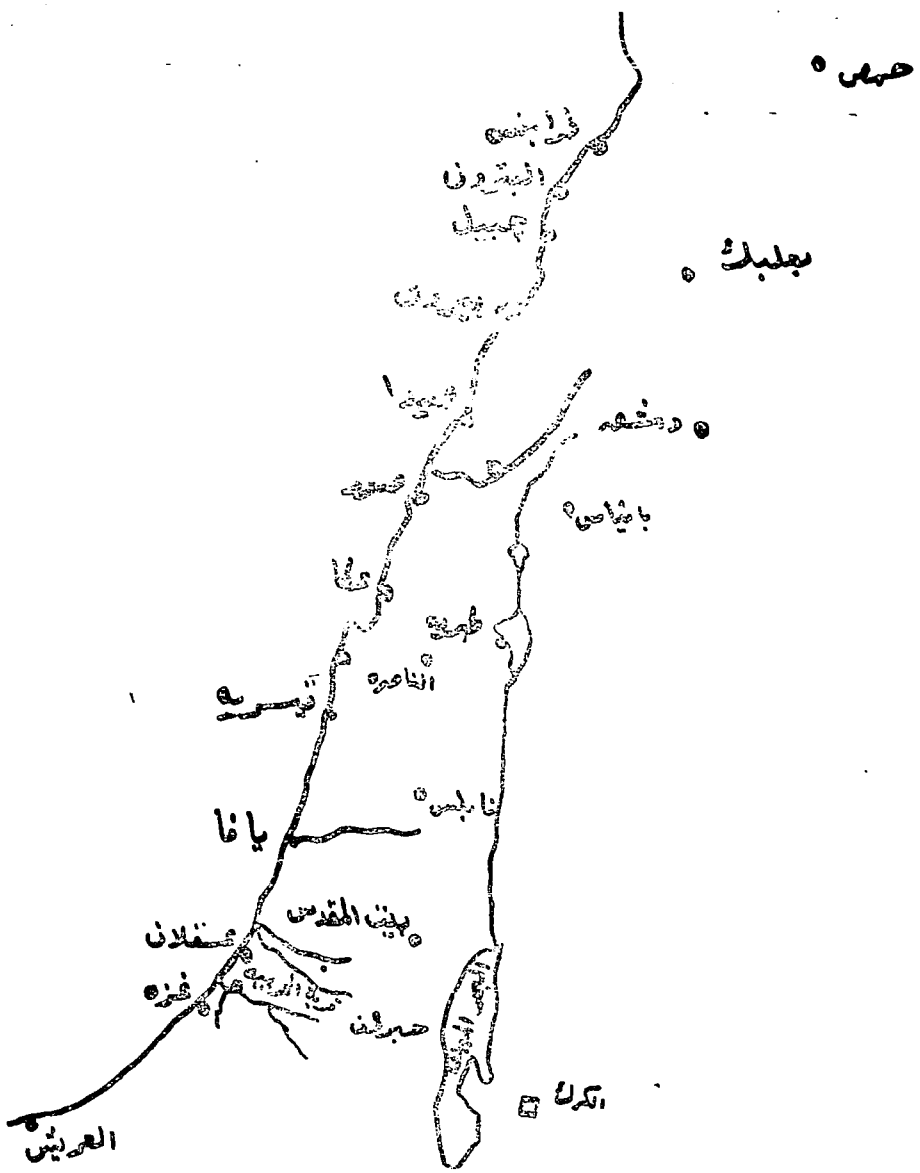
حمص
بعلبك
دمشق
بانياس
طبرية
الناصرة
نابلس
يافا
بيت المقدس
عسقلان
غزة
حبرون
العريش
الكرك

بدونهم فيضطر إلى الانسحاب بدوره (١) . وقد أيد كثير من الصليبيين هذا الرأى ، بينما عارضه البعض الآخر وعلى رأسهم والتردى بريين كونت يافا الذى كان شديد الالحاح على ضرورة القيام بهجوم مباشر وسريع ؛ وانتهى الأمر برجحان كفة والتر ، ويتحرك الصليبيون من عسقلان ووصلوا غزة وأصبحوا فى مواجهة الجيوش الخوارزمية المصرية (٢).

وساد الهدوء بين الطرفين عدة ساعات كان خلالها كل طرف يتحرش بالآخر . وقد لاحظ والتر كونت يافا وجود بعض الاضطربات فى صفوف الخوارزمية ، وأراد أن ينتهز هذه الفرصة ويبدأ فى الهجوم عليهم ليحقق نصر يشفع له عند البطريرك فى العفو عنه من قرار الحرمان الصادر ضده ؛ ولكن البطريرك نهاه عن هذا ورفض منحه العفو المطلوب (٣) .

وفى صباح يوم الاثنين ١٧ أكتوبر ١٢٤٤م — ١٤ جمادى الأول ٦٤٤ هـ بدأت المعركة بين الخوارزمية وقوات الصالح أيوب من ناحية، والصليبيين وجيوش حمص ودمشق والكرك من ناحية أخرى . ورغم أن الصليبيين كانوا فى أشد الحاجة إلى خبرة والتردى بريين ، ورغم كثرة الحاحه على البطريرك للسماح له بالاشتراك فى المعركة إلا أنه لم يوافق . ولكن أمام صلابة البطريرك اضطر أسقف الرملة والذى كانت تربطه علاقة قوية بكونت يافا ، أن يصدر قراراً بالعفو عنه والسماح له بالاشتراك فى القتال ؛ فأمتطى صهوة جواده وأخذ يشارك زملاءه فى القتال (٤). وكانت المعركة

---

(١) Eracles, op. cit., p. 429, cf also : Setton, op cit.,Lo. cit.

(٢) Ibid.

(٣) ذكر جوانفيل أن سبب صدور قرار الحرمان ضد كونت يافا هو رفضه تسليم برج المدينة إلى البطريرك أنظر :

Joinville's Chronicle, p. 268, cf also : Michaud, op. cit., IV, IV, p. 34.

(٤) Joinville's Chronicle, p. 269, cf also : Besant, op. cit., p. 514, Michaud, op. cit., Loc. cit.

منذ اللحظة الأولى تتسم بالشراسة والضراوة فكانت ضربات السيوف وصيحات المتحاربين تسمع من مسافة عدة أميال . واستمرت المعركة يومين ، استغرقت فى اليوم الأول وقتاً طويلا امتد من بزوغ الشمس حتى بعد الغروب بدرجة أنه لم يعد بامكان أى من الفريقين المتحاربين التميز بين قواتهما (١) . ولم يتمكن الفرنجة فى هذا اليوم من احراز أى نصر أمام شدة ضربات الخوارزمية والمصريين معاً ولذلك فقدوا أعداداً كبيرة من قواتهم (٢) .

وفى صباح اليوم التالى اشتعلت المعركة من جديد ، وكان فرسان الداوية والاسبتارية قد استعادوا قوتهم ونشاطهم ، فأقبلوا على المعركة وهم يغنون تمجيداً لله ، ولبعث أمل النصر فى نفوس باقى الصليبيين المحاربين فكانوا يرددون «السيد منحنا النصر ، ليس من أجلنا وإنما لتمجيد لقبه واسمه المقدسين»(٣) . ولكن لم تمض عدة ساعات حتى فقدوا كل أمل فى النصر ، لأنه فى الوقت الذى كان فيه الجيش المصرى يواصل هجماته ضد قوات الفرنجة ، نجح الخوارزمية فى توجيه الضربات الشديدة والسريعة إلى الجيش السورى المتحالف مع الفرنج . فانتهى الأمر بهلاكه وانسحابه من ميدان القتال ، وهرب المنصور ابراهيم إلى دمشق وظلت القوات الصليبية فى ميدان القتال تواجه هجمات الخوارزمية بمفردها (٤) . فانتهز هؤلاء الفرصة وحاصروهم من كل جانب ، وأخذوا يشددون ضرباتهم العنيفة ضدهم . ولكن ، فى بداية الأمر ، نجح الصليبيون فى الصمود بعض الوقت ، غير أنهم فى النهاية لم يتمكنوا من مواصلة القتال لكثافة اعداد الخوارزمية من ناحية

---

(١) Matthew Paris, op. cit., I, p. 492, 499, cf also : Besant, op. cit., p. 514, Dowling, Gaza, a city of many Battles, p. 69.

(٢) King, op. cit., Loc. cit.

(٣) Matthew Paris, op. cit., I, p. 499, Lamb, op. cit., p. 281.

(٤) Rothelin, op. cit., p. 563, REracles, op. cit., p. 429, Matthew Paris, op. cit., p. 494, cf also Setton, op. cit., II, p. 563, King, op. cit., p. 234.

والخسائر العديدة التى تكبدوها فى الأروح والسلاح من ناحية أخرى (١). ففى ساعات قليلة تحطم كل جيشهم وحلت بهم الهزيمة الساحقة ، حتى قدر عدد قتلى الصليبيين ومن انضم اليهم من منافقى المسلمين بأكثر من خمسة عشرة الف مقاتل (٢) . ومن الذين لقوا مصرعهم مقدم الداوية ورئيس أساقفة صور وسيد البترون وأسقف الرملة . ولاذ بالفرار إلى عسقلان فيليب دى مونتفورت ومقدم التيوتون وبطريرك بيت المقدس ، ولحق بهم من بقى على قيد الحياة من فرسان الطوائف الدينية العسكرية ثلاثة من التيوتون ، وثلاثة وثلاثون من الداوية ، وستة وعشرون من الاسبتارية(٣). ووقع فى الأسر وليم شاتونوف سيد الاسبتارية ، وكند سطبل طرابلس ، وكونت يافا فضلا عن ثمانمائة آخرين تم سحبهم إلى مصر (٤).

وبعد أن أحرز الخوارزمية هذا النصر الكبير على الفرنج ، اتجهوا ناحية عكا واستولوا على الأماكن المحيطة بها التى كانت فى حوزة الصليبيين والواقعة على بعد ميلين من المدينة ، وقسموها كلها فيما بينهم بحيث لم يتبق

---

(١) Matthew Paris, op. cit., I, p. 500, cf also : Michaud, op. cit., IV, p. 35.

(٢) أبو شامة : المصدر السابق، ص ١٧٤ ،سبط ابن الجوزى: المصدر السابق، جـ٨ ، ص ٤٩٤ ، المقريزى : المصدر السابق : جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٧ . ومن المراجع الأجنبية أنظر :

Setton, op. cit., II, p. 564, Michaud, op. cit., Loc. cit. Dowling, op. cit., Loc. cit.

(٣) Rothelin, op. cit., p. 563, Eracles, op. cit., p. 430, Chronical of Melrose, op cit., p. 192, cf also : Stevenson, op. cit., 322, Dowling, op. cit., Loc. cit. Richard, op. cit., p. 334, Runciman, op. cit., III, p. 227, Lamb, op. cit., p. 280, Michaud op. cit., IV, p. 35

(٤) Rothelin, op. cit., pp. 563—564, Eracles, op. cit., p. 430, Gestes des Chiprois, cf. R.H. C-Doc. Arm, II, p. 740, chronique d'Amadi, p. 197, cf also : Runciman, op, cit., Loc. cit.

للصليبيين سوى القلاع (١).

ولما وصلت أنباء انتصار الخوارزمية إلى السلطان المصرى عم الفرح ودقت الطبول واستمرت الرايات والأفراح فى شتى الأقاليم المصرية عدة أيام (٢). وامتلأت السجون بالأسرى وعلقت رؤوس القتلى على أبواب المدينة (٣).

وكان الخوارزمية يأملون بعد كل ماقدموه من مساعدات إلى السلطان المصرى الصالح نجم الدين أيوب أن يكافأهم بالسماح لهم فى الاستقرار بمصر. ولكن يبدو أن الصالح أيوب قد خشى على ما يترتب على دخولهم مصر من أضرار بالبلاد لكثرة اعدادهم وسياستهم الهمجية ، ولذلك أرسل اليهم قوات مصرية عند بلبيس لمنعهم من دخول مصر ، وفى نفس الوقت أباح لهم الاستقرار فى الشام على حساب الصليبيين ، وخاصة فى الأماكن التى استولوا عليها حول عكا (٤). ولكن نظراً لرغبتهم الشديدة فى الاستيلاء على يافا فقد ضربوا الحصار حولها ، واستغلوا فرصة وجود حاكمها الكونت والتردى برين فى الأسر لديهم فقاموا بتكبيله بالسلاسل وهددوه بالقتل إذا لم يسهل لهم عملية الاستيلاء على المدينة . وفى نفس الوقت هددوا حامية المدينة باغتيال أميرهم إذا لم يفتحوا الأبواب . ورغم كل ذلك فقد أبى الكونت والتر الاستسلام ، ولم يلتفت إلى تهديدات الخوارزمية ، وأخذ يصيح بصوت مرتفع أمام أسوار المدينة مشجعاً أهاليها وحاميتها ، حاثاً أياهم على التماسك

---

(١) Rothelin, op. cit., p. 564.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٧ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٢٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى : المصدر السابق، جـ٨ ، ص ٤٩٧ ، أبو شامة : المصدر السابق، ص ١٧٤ راجع أيضاً :

Michaud, op. cit., IV, p. 36, Lamb, op. cit., p. 28.

(٤) Eracles, op. cit., p. 430, cf also: Humphrey, op. cit., p. 284.

وعدم الاهتمام بتهديدات عدوهم ، وضرورة تقوية استحكامات المدينة وعدم الاستسلام حتى لو ناله أذى منهم . وكان يقول لهم «واجبكم الدفاع عن المدينة وحمايتها حتى الموت من أجل نصرة المسيح» (١). وعندما يأس الخوارزمية من الاستيلاء على المدينة فكروا الحصار عنها وأرسلوا حاكمها إلى سلطان مصر هدية له للتصرف فيه كيفما يشاء ، فوضعه فى السجن (٢). وكان بعض التجار المصريين قد طلبوا من السلطان الصالح أيوب التخلص من كونت يافا انتقاماً من الخسائر الفادحة التى تكبدوها بمعرفته عندما كان رجاله يقومون بالاغارة على القوافل التجارية المصرية المارة بالقرب من مدينة يافا ولكن الصالح أيوب لم يوافق على مطلبهم ، فاضطروا فى احدى الليالى إلى التسلل إلى السجن وقتلوه (٣) .

على أية حال ، بعد انتصار الصالح أيوب فى معركة غزة عام ١٢٤٤م ٦٤٢ هـ ، أراد انزال العقاب بأمراء البيت الأيوبى الذين تحالفوا ضده مع الصليبيين والذين كانوا عاملا هاماً من عوامل نشوب معركة غزة . فأرسل جيشاً كبيراً استولى على ممتلكات الناصر داود صاحب الكرك فيما عدا الكرك والبلقاء وعجلون(٤). ثم أرسل حملة أخرى بقيادة معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ على بهدف الاستيلاء على دمشق وقد استعان فى ذلك بالخوارزمية، وقد حققت الحملة هدفها واستولت على المدينة فى أكتوبر ١٢٤٥م — جمادى الأول ٦٤٣ هـ، وتم تعويض الصالح اسماعيل بامارة بعلبك وبصرى والسواد. وقد ظن الخوارزمية بعد هذا الانتصار الذى حققه سلطان مصر بتأييدهم له بأنه سوف يسمح لهم بالاستقرار فى مدينة دمشق ويقاسمهم ملكيتها تكريماً لهم

---

(١) Joinville's Chronicle, p. 269, cf also: Michaud, op. cit., IV, p. 37, King, op. cit., p. 239, Besant, op. cit., p. 514, Setton, op. cit. II, p. 564.

(٢) Ibid.

(٣) Joinville's Chronicle, p. 269i

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٨ .

للدور الكبير الذى قاموا به أثناء تعاونهم مع القوات المصرية منذ فرض الحصار على المدينة حتى استسلامها . ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل كبيرة عندما رفض الصالح أيوب مطلبهم ، بل قام بمنعهم من دخول دمشق ، واكتفى باقطاعهم الساحل . ولذلك فقد غيروا سياستهم تجاه السلطان المصرى ، واتفقوا على الخروج عن طاعته . فساروا إلى داريا ، وهى احدى القرى التابعة لدمشق ونهبوها . وكاتبوا ركن الدين بيبرس وهو بغزة على رأس بعض القوات المصرية وحثوه على تكوين حلف بينهما ضد الصالح أيوب ، ووعدوه بتزويجه واحدة منهم ، فمال اليهم . وكاتبوا أيضاً الناصر داود صاحب الكرك فوافقهم ونزل اليهم واجتمع بهم (١) . وقد رأى الصالح اسماعيل من خلال تلك الظروف أن من مصلحته الاتصال بالخوارزمية والتحالف معهم لمساعدته فى اعادة دمشق اليه مرة ثانية . فكاتبهم وقدم اليهم واتفقت كلمة الجميع على محاربة الصالح أيوب . ولكن لما علم الأخير بتطورات الأحداث ، أراد أن ينتقم من ركن الدين بيبرس لخيانته ، فاستخدم الحيلة معه لاستدراجه إلى مصر وقام باعتقاله (٢) . وكان الخوارزمية فى ذلك الوقت قد زحفوا ناحية دمشق ، وحاصروها ثلاثة شهور وضيقوا على من فيها . فهلك كثير من الأهالى من الجوع والأوبئة . غير أن السلطان المصرى كان فى ذلك الوقت قد نجح فى استمالة الحلبيين اليه ، وكذلك المنصور ابراهيم صاحب حمص . وتعهدوا اليه جميعاً بمحاربة الخوارزمية وطردهم من البلاد (٣) . وفى أوائل عام ١٢٤٦م- محرم ٦٤٤ هـ وقعت

---

(١) المصدر السابق ذات الصفحة ، أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ٣ ص ١٨٢ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٢٤ أنظر أيضاً :

Prawer, op. cit., p. 314, Michaud, op. cit., IV, p. 38.

(٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ٣٥٠ - ٣٥١، المقريزى : المصدر السابق جـ١ ، ق٢ ، ص ٣٢٢ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ٣٢٤ - ٣٢٥ . أنظر أيضاً

Streveson, op. cit. p. 324

(٣) ابن واصل : المصدر السابق،جـ٥ ، ص ٣٥٣سبطابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٥٠٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ق٢ ص ٣٢٣ .

المعركة الفاصلة بالقرب من حمص بين الطرفين : الملك المنصور صاحب حمص ، وعسكر حلب من ناحية ، وجموع الخوارزمية والصالح اسماعيل من ناحية أخرى . وانتهت المعركة بهزيمة الصالح اسماعيل هزيمة ساحقة ، فضلا عن دمار معظم الخوارزمية حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة . وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان (١) . وتشتت شملهم . ا فانحاز البعض إلى المغول ، والبعض الآخر استأجر نفسه عند الناصر داود صاحب الكرك : بينما ظل البعض الثالث يخدم كمرتزقة لدى المماليك فى مصر (٢) .

وابتهج العالم الاسلامى لما أصاب الخوارزمية من هزيمة ساحقة أدت إلى اختفائهم من مسرح الأحداث كقوة مستقلة بذاتها أخذت تعمل لمصالحها الخاصة ردحاً طويلا من الزمن على حساب باقى الدول الاسلامية الموجودة فى منطقة الشرق الأدنى .

وهكذا بعد أن استعاد الصالح أيوب دمشق اعترف الأيوبيون بالشام بسيادته على مصر والشام وبيت المقدس ، واستعادت الدولة الأيوبية وحدتها وخيم الهدوء على المنطقة ، واضحى السلطان المصرى بوسعه أن يوجه جهوده بعد ذلك لمواجهة الفرنج (٣) . الذين كانت أحوالهم فى ذلك الوقت تسير من سيىء إلى أسوأ ، وأصبحوا فى حاجة إلى أن يقوم الغرب الأوربى بعمل انجابى جديد يساعدهم على البقاء ولو إلى حين.وترتب على ذلك مجيىء الحملة الصليبية السابعة إلى الشرق بزعامة ملك فرنسا لويس التاسع .

---

(١) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٩ . المقريزى : نفس الجزء والصفحة ؛ ابن تغرى بردى المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٣٢٥ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق جـ٣ ، ص ١٨٣ راجع أيضاً :

Prawer, op. cit., p. 314, Setton, op. cit., 11, p. 564.

(٢) Setton, op. cit., II, p. 674, Lamb, op. cit., p. 282.

(٣) Runciman, op. cit., Loc. cit.

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى حواشى البحث

R.H.C.-H.Occ. Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.

R.H.C.-Doc. Arm. Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens.

Cam. Med. Hist. Chambridge Medieval History.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

أولا : المصادر

Amadi,F., Chroniques d'Amadi et de Strambadi, ed. Mas Latrie, Paris, 1891.

Chronique de Terrre Saint, Les Gestes des Chiprois, ed. R.H.C.- - Doc. Arm., t. II, Paris, 1869, pp. 623-871.

Chronical of Melrose, cf. Church Historians of England, 1857, pp. 77—243.

Eracles, L'Eracles Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer. t. I, Paris, 1859 ed. R.H.C.H. Occ. t. pp. 1—418.

Historia Diplomatica Fridrici Secundi, ed by J.L.A. Huillard-Breholles, t. VI, part I, Paris, 1860.

Hayton, La Flor des Estoires de la Terre d'Orient, ed. R.H.C. Doc. Arm., t. II, Paris, 1869, pp. 71—490.

Joinville' Chronicle, of the Crusade of St. Lewis, translated by Marzials, London, 1957.

Matthew Paris, English History, translated by J.A. Gilles, 2 vosl, London 1889.

Michand, J., Bibliotheque des Croisades, 4 vols., Londond 1852.

Rothelin, Continuation de Guillaume de tyr dite du Manuscrit de Rothelin (1229—1261) ed.R.H.C. -H. Occ., t.. II, Paris, 1859, pp. 489—639.

ثانياً : المراجع

Besant,. W., The History of Jerusalem, London, 1883

Blochet, Les Relation Diplomatiques des Hohenstaufen avec les Sultans d'Egypte, Cf. Revue Historique, V, 80, 1902 (pp. 451—69.)

Brundage, J., The Crusades, A Documentary Survey, U.S.A., 1976.

Conder, C., The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897.

Dowling, D., Gaza, a city of many Battles, New York, 1913.

Grousset, R., Histoire des Croisades, 3 vols, Paris, 1948.

Humphrey, S., From Saladin to the Mongols, New York, 1977.

Iorga N., Histoire des Croisades, Paris, 1924.

King, E., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.

Lamb, H., The Crusades, London, 1931.

LaMonte, L., The Wold of the Middle Ages, New York, 1949.

Michaud, M., Histoire des Croisades, VII vols., Paris, 1822.

Prawer, J., Histoire du Royaume Latin de Jerusalem, 2 vols., Paris, 1975 .

. Military Orders and Crusader Politics in the Second half of XIII century'', in Die Geistichen Ritterordn Europas, ed, Fleckenstein and Manfred Hellmann. (sigmaringen, 1980).

Richard, J., The Latin Knigdom in Jerusalem, Oxford, 1979.

Riley, Smith., The Knights of St. John in Jerusalem and Chyprus (1050—1310), Edinburg, 1978.

Runciman, S., A History of the Crusades, 3vols., Londond 1965.

Setton, K. (ed), A History of the Crusades, 3Vols, Philadelphia, 1958.

Smail, R., The Crusaders in Syria and the Holy Land, London, 1973.

Stevenson, W., The Crusaders in the East, London, 1907.

Cambridge Medieval History, 8 Vols., London, 1911—1936.

ثانياً : المصادر والمراجع العربية

أولا المصادر :

ابن الأثير (أبو الحسن أبي الكرم الملقب عز الدين) :
الكامل فى التاريخ – ١٢ ج – القاهرة ١٨٨٢ .

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – ٩ج – القاهرة ١٩٤٢

سبط ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان – ج٨ – شيكاغو ١٩٠٧ .

ابن الوردى (أبو حفص الدين عمر)
تتمة المختصر فى أخبار البشر – ٢ ج – القاهرة ١٨٦٨ .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب – الجزء الخامس ، تحقيق د. حسنين محمد ربيع – القاهرة ١٩٧٧ .

أبوشامة (عبد الرحمن اسماعيل بن عثمان بن شهاب الدين)
تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين – تحقيق عزت العطار القاهرة ١٩٤٧ .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل)
المختصر فى أخبار البشر – ٤ ج القاهرة ١٩٠٦

الأصفهانى (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) :
تاريخ دولة آل – سلجوق – القاهرة ١٩٠٠ .

القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) :
آثار البلاد وأخبار العباد – جوتنبرج ١٨٦٨ .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)
السلوك لمعرفة دول الملوك – الجزء الأول والثانى إلى ٧٤١ هـ –
نشر وتعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة – القاهرة ١٩٥٧ – ١٩٧١ .

النسوى (محمد بن أحمد بن على) :
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى – نشر وتعليق حافظ حمدى –
القاهرة ١٩٥٣ .

ثانياً المراجع :

حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول – القاهرة ١٩٤٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور)
الحركة الصليبية – ٢ج – القاهرة ١٩٦٣ .

محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :
الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها – الاسكندرية
١٩٧٤ .